The Hadith Indeed, Some Speech Is Enchantment: A Hadith, Linguistic, Rhetorical, and Daʿwah Study

حديث إن من البيان سحرا: دراسة حديثية لغوية بلاغية دعوية

Received 2025-04-08
Accepted 2025-10-11
Published 2025-12-27

Sami Bin Musa'id Bin Mas'id Al-Rifa'i Al-Juhani
Department of the Qur'an and Sunnah, College of Daʿwah and Fundamentals of Religion, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia
smjuhani@uqu.edu.sa

To cite this article: Assiri, Ahmad Ali Assiri. (2026). The Hadith Indeed, Some Speech Is Enchantment: A Hadith, Linguistic, Rhetorical, and Daʿwah Study. Ijaz Arabi: Journal of Arabic Learning, 9 (1), 42-53, DOI: https://doi.org/10.18860 /ijazarabi.V9i1.37526

Abstract
An integrated approach is adopted to examine the Prophet's ḥadīth "Indeed, some speech is like magic," combining ḥadīth, linguistic, rhetorical, and daʿwah dimensions, aiming to uncover the beauty of the Prophetic expression and the precision of its moral guidance. It traces the sources of this specific ḥadīth. It discusses scholars' interpretations—between those who viewed it as praise for sincere eloquence, those who saw it as a warning against deceptive speech, and those who reconciled both views in a balanced manner. The linguistic and rhetorical analysis reveals the miraculous nature of the ḥadīth's structure, which blends brevity, rhythm, and accuracy in simile, showing that eloquence is a subtle spiritual power that influences hearts as magic does: a means of guidance when used for truth, and a cause of misguidance when misused. Ultimately, the study concludes that the ḥadīth provides a daʿwah-oriented standard for speech, affirming that eloquence is not an aesthetic end in itself but a means to lead minds and hearts toward the truth.
Keywords: Content Analysis; Eloquence; Magic; Rhetoric; Preachingx

المقدمة

يُعَدُّ الحديث النَّبويُّ الشَّريف: (إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا) من أبلغ ما ورد عن النَّبيِّ ρ في تصوير أثر الكلمة، وعمق تأثيرها في النُّفوس، إذ جمع بين الإعجاز اللَّفظيِّ، والدِّلالة التَّربويَّة في جملةٍ قصيرةٍ صارت مَثَلًا عربيًّا خالدًا، تُعبِّر عن قدرة اللُّغة على النَّفاذ إلى القلوب والعقول كما ينفذ السِّحر إلى الأذهان. وهذه الحقيقة البلاغيَّة تُبرز مكانة البيان في الإسلام؛ إذ لا تُقاس قيمة الكلمة بجمالها فحسب، بل بما تُحدثه من أثرٍ في خدمة الحقِّ أو تزيين الباطل، فهي سلاحٌ ذو حدَّين: إن استُعمل في الحقِّ كان هدايةً، وإن استُعمل في الباطل كان فتنة. ومن هنا برزت الحاجة إلى دراسةٍ علميَّةٍ تحليليَّةٍ متكاملةٍ تجمع بين الأبعاد الحديثيّة واللُّغويَّة والبلاغيَّة والدَّعويَّة لهذا الحديث، لاستجلاء أسراره ومعانيه في ضوء المنهج النَّبويِّ في تربية الكلمة وضبط البيان.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وقد تناول العلماء هذا الحديث في مصنفاتهم من زوايا متعدِّدة؛ فالمحدِّثون اهتمّوا بتخريجه وطرق روايته ودرجته، واللُّغويّون حلّلوا ألفاظه وتراكيبه، والبلاغيُّون بيَّنوا وجوه التَّشبيه والمجاز والاستعارة فيه، والدُّعاة والمربُّون استنبطوا منه القواعد الأخلاقيَّة في استعمال الكلمة، غير أنَّ أغلب هذه الدِّراسات جاءت متفرِّقةً ولم تُجمع في إطارٍ واحدٍ يُبرز تكامل هذه الأبعاد في خدمة المقصد النبويِّ الشَّامل. وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى تقديم دراسةٍ متكاملةٍ تجمع بين تلك الرُّؤى، بمنهجٍ وصفيٍّ تحليليٍّ مقارنٍ يقوم على استقراء نصوص السُّنَّة، وتتبع أقوال العلماء، وتحليل الجوانب اللُّغويّة والبيانيَّة، وربطها بالواقع الدَّعوي المعاصر؛ للكشف عن معالم المنهج النَّبويِّ في ضبط الكلمة وتوجيهها نحو الحقّ.

ويهدف البحث إلى إبراز دقَّة التَّعبير النَّبويِّ في هذا الحديث من حيث الصِّياغة والمعنى، وبيان التَّوازن بين الجمال اللَّفظي والصِّدق المعنوي، واستنباط القواعد الدَّعويَّة التي تُرشد الدُّعاة إلى استثمار الكلمة في خدمة الهداية لا في تزييف الحقائق.

منهجية البحث

تعتمد هذا البحث على تحليل المحتوى لاستخلاص استنتاجات قابلة للتكرار وذات مصداقية من نص ما، مع مراعاة السياق الذي ورد فيه. ويُصنف هذا المنهج ضمن تحليل المحتوى الوصفي، وهو أسلوب يُستخدم لشرح محتوى نص معين بالتفصيل. في هذا البحث، تم استخدام نص عربي، وهو الحديث النبوي الشريف. والهدف الأساسي من تحليل المحتوى هو وصف خصائص الرسالة البلاغية بطريقة منظمة وموضوعية. يساعد هذا المنهج الباحثين على فهم المعنى الضمني الكامن وراء النص.

وهكذا فإنَّ هذا البحث لا يكتفي بتفسير الحديث في بعده اللُّغوي أو البياني، بل يسعى إلى إبراز رسالته الأخلاقيَّة والدَّعويَّة في زمنٍ أصبحت فيه الكلمة تُوجِّه العقول وتُحرِّك المجتمعات، فيعيد للبيان مكانته الأصيلة في خدمة الحقِّ، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١–٤]، وليظلَّ حديث النَّبيِّ ρ هذا ميزانًا خالدًا للكلمة الصَّادقة: فالبيان الصَّادق سحرٌ حلالٌ، يملك القلوب بصدق الكلمة ونقاء القصد، لا بزخرف القول ولا بتكلُّف العبارة.

نتائج البحث ومناقشتها

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

الدِّراسة الحديثيّة لحديث إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا

يُعَدُّ هذا الحديث الشَّريف من جوامع كلم النَّبيّ، لما اشتمل عليه من عمقٍ في المعنى ودقَّةٍ في اللفظ، إذ جمع في تركيبٍ واحدٍ بين الإعجاز البلاغيّ والتحذير التربويّ. وقد أولاه المحدِّثون واللُّغويّون عنايةً خاصَّة؛ لما فيه من تصويرٍ بديعٍ لأثر الكلمة في النفوس، وتحذيرٍ ضمنيٍّ من استغلالها في غير الحقّ. فهو حديثٌ يجمع بين الثناء على البيان الصادق والتنبيه إلى خطر البيان الماكر الذي يزيّن الباطل بلفظ الحقّ.

١. تخريج الحديث وطرقه وألفاظه

قوله: ((إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا)) ورد عبد الله بن عمر، وعن عبد الله بن مسعود، عن ابن عباس، وبن بريدة. أمَّا حديث عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما؛ فلفظه عنه: أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلاَنِ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ρ: ((إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا))، أَوْ ((إِنَّ بَعْضَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ)). وفي رواية: قَدِمَ رَجُلاَنِ مِنْ الْمَشْرِقِ خَطِيبَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ρ فَقَامَا فَتَكَلَّمَا ثُمَّ قَعَدَا وَقَامَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ خَطِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ρ فَتَكَلَّمَ ثُمَّ قَعَدَ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِهِمْ فَقَامَ النَّبِيُّ ρ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ فَإِنَّمَا تَشْقِيقُ الْكَلاَمِ مِنَ الشَّيْطَانِ قَالَ النَّبِيُّ ρ: ((إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا)) (Mālik, 1991, no. 2074).

وأمَّا حديث بريدة؛ فلفظه: ((إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْمًا، وَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ عِيَالاً)) (Abū Dāwūd, n.d., no. 5012).

وأمَّا حديث عبد الله بن عبَّاس؛ فلفظه: ((إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْمًا)) (Aḥmad, 2001, no. 2424).

وأمَّا حديث عبد الله ابن مسعود؛ فلفظه: ((إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا، وَشِرَارُ النَّاسُ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ أَحْيَاءً، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ قُبُورَهُمْ مَسَاجِدَ)) (Aḥmad, 2001, no. 4342).

٢. شرح الحديث ومعناه عند العلماء

تناول العلماء هذا الحديث ببيان مقاصده وتنوُّع دلالاته بين المدح والذم، ويمكن إجمال أقوالهم في ثلاثة اتجاهات:

أ. الاتجاه الأول: أنه تعجُّبٌ واستحسانٌ ومدحٌ للبيان:

قال ابن عبد البر: ((وفي هذا [الحديث] دليلٌ على مدح البيان وفضل البلاغة، والتعجب بما يسمع من فصاحة أهلها، وفيه المجاز والاستعارة الحسنة؛ لأنَّ البيان ليس بسحرٍ على الحقيقة، وفيه الإفراط في المدح؛ لأنَّه لا شيء في الإعجاب والأخذ بالقلوب يبلغ مبلغ السحر)) (Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH). وهذا القول يبيّن أنَّ الحديث جاء في مقام الثَّناء على حسن الكلام وقوّة التأثير به، وأنَّ

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

التشبيه بالسحر مجازيٌّ بليغٌ، قصد به النَّبيُّ ρ المبالغة في وصف قوّة البيان وعمق تأثيره. ثم أضاف ابن عبد البر: ((وقد ذهب هذا القول منه ρ مثلًا سائراً في الناس، إذا سمعوا كلامًا يعجبهم قالوا: إنّ من البيان لسحرًا، ويقولون في مثل هذا: هذا السحر الحلال)) (Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH). فهو يرى أنَّ الحديث صار مثلاً عربيًا رفيعًا يدلُّ على قوَّة البلاغة وحسن الأداء، وهو من باب (المجاز في المديح)، لا من باب الذَّمِّ.

ب. الاتجاه الثاني: أنه تحذيرٌ وذمٌّ للبيان إذا استُعمل في الباطل: قال أبو عبيد القاسم بن سلام كما نقله: ((وأمَّا البيان؛ فإنَّه من الفهم وذكاء القلب)) (Abū ʿUbaydah, 1964). القاضي عياض: ((فيه تأويلان: أحدهما أنَّه ذمٌّ؛ لأنَّه إمالةٌ للقلوب وصرفها بمقاطع الكلام إليه حتى يُكسب من الإثم كما يُكتسب بالسحر)) (al-Mubārakfūrī, 1984). وبنحو هذا قال الإمام مالك، إذ أدرج الحديث في الموطأ في باب (ما يُكره من الكلام) (مالك، ١٩٩١، برقم: ٢٠٧٤)، ممَّا يدلُّ على أنَّه فهم الحديث في سياق التحذير من البيان المتكلّف الذي يُزيّن الباطل في صورة الحق. وقد رجَّح هذا الاتجاه بعض المحدثين الذين لاحظوا أنَّ النَّبيَّ ρ ذمّ المتفيهقين والثرثارين، كما في حديثه الآخر: ((وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ)) (al-Tirmidhī, 1998). فمن استعمل البيان في الإغراب والتكلّف، فقد شابه الساحر في صرف العقول بالكلمات عن الحقّ.

ج. الاتجاه الثالث: الجمع بين المدح والذمّ – وهو القول الوسط المختار: قال العيني: ((اختلف العلماء في تأويل الحديث، فقال قوم: خرج على الذم للبيان، ولهذا أدخله مالك في باب ما يُكره من الكلام. وقال آخرون: هو على المدح، بدليل أنه قيل بعد الإعجاب ببيان الرجلين. وأحسن ما يُقال: إنه ليس بذمٍّ للبيان كلّه، ولا بمدحٍ له كلّه، ألا ترى أن فيه كلمة (مِنْ) للتبعيض؟ فليس كل البيان سحرًا، وإنما بعضه كذلك)) (al-ʿAynī, n.d.).

ثم علّق بقوله البديع: ((وكيف يُذَمّ البيان كلّه وقد عدّه الله نعمةً فقال: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣–٤])) (al-ʿAynī, n.d.). وهذا الجمع الذي ذكره العيني هو أعدل الأقوال، إذ يرفع التَّعارض الظَّاهري بين الرِّوايات ويُبرز التوازن النبوي في الحكم: فالبيان إذا كان في خدمة الحق فهو من السحر الحلال الممدوح، وإذا استُعمل لتزييف الباطل فهو من السحر المذموم المحرّم.

تحليلٌ مقارن:

عند التأمل في أقوال هؤلاء العلماء، يتبيَّن أنَّ الاختلاف لم يكن في ثبوت الحديث أو صحته، بل في تأويل المراد من لفظ السِّحر:

فحملته طائفة على التمثيل المجازي والمدح البلاغي.

وحملته أخرى على التحذير من البيان الماكر المتكلّف.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وذهبت طائفة ثالثة إلى أنَّ الحديث للتَّبعيض، فيمدح البيان الصادق ويذمُّ المخادع.

ويؤيّد ذلك المعنى أنَّ السِّحر في أصل اللغة –كما ذكر العلماء – هو ما لطف وخفي سببه (al-Majmaʿ, n.d.) ؛ أي: كلُّ تأثيرٍ خفيٍّ في النُّفوس، فالبيان يؤثّر في القلوب كما يؤثّر السِّحر في العقول، لكنَّه سحرٌ معنويٌّ مباحٌ إذا استُعمل في الحقّ.

٣. مقاصد الحديث ودلالاته التربوية

يظهر من مجموع أقوال العلماء أنَّ النَّبيَّ ρ أراد بهذا الحديث:

أ. التنبيه إلى أثر الكلمة في النفوس والعقول، وأن البيان قد يملك القلوب كما يملكها السحر.

ب. التحذير من البيان الكاذب الذي يُجمّل الباطل ويُلبسه ثوب الصدق.

ج. الدعوة إلى الاعتدال في القول؛ فخير البيان ما كان حقًّا جميلاً غير متكلّف.

قال ابن عبد البر – بعد استعراضه للحديث - : ((وإنَّما يحمد العلماء البلاغة واللسانة ما لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب والتَّفيهق؛ فقد روي في الثرثارين المتفيهقين أنهم أبغض الناس إلى الله ورسوله)) (Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH). وهذه الخلاصة توجِّه الدَّاعية والمتحدِّث والخطيب إلى أنَّ البيان ليس غايةً، بل وسيلةٌ لنقل الحقّ بأجمل صورة، وأن جمال الكلمة لا يُغني عن صدقها، كما لا يغني السحر عن الحقّ.

يتَّضح أنَّ حديث: ((إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا)) من أعظم النُّصوص التي جمعت بين البلاغة النبوية والحكمة الدعوية، فهو في آنٍ واحدٍ ثناءٌ على البيان الحقّ، وتحذيرٌ من البيان الماكر. فمن أوتي حظًّا من البيان فليجعل كلمته في خدمة الوحي، لا في تزيين الهوى، وليقتدِ بالنَّبيِّ الذي جمع بين صدق المعنى وجمال المبنى.

الدِّراسة اللغويّة والبلاغيّة لحديث إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا

يمثّل هذا الحديث النبوي الشريف قمّة البيان العربي في وجازة اللفظ وعمق الدلالة، فهو من أوجز ما قيل في وصف أثر الكلمة وقوّة التعبير. وقد اجتمع فيه جمال المبنى، ودقّة المعنى، وسِحرُ التأثير في النفوس، فجاء على نسقٍ بلاغيٍّ معجزٍ يختصر نظرية البيان كلّها في جملةٍ واحدةٍ، تُعبّر عن قدرة الكلمة على النفاذ إلى القلوب والعقول كما ينفذ السحر إلى الأذهان.

ومن هنا كانت دراسة هذا الحديث من زاوية لغوية وبلاغية ضرورةً للكشف عن أسرار تركيبه النبوي، وكيف جمع بين حُسن التشبيه، ودقّة الاختيار اللفظي، وعمق الدلالة المعنوية، حتى صار مثلًا سائرًا في لسان العرب.

١. التحليل اللغوي لمفردات الحديث وتراكيبه

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

قوله: (إِنَّ) أداة توكيدٍ ونصب، تفيد التحقيق والتوكيد، وقد جاءت لتثبيت حقيقةٍ ذهنيةٍ في أذهان السامعين، لا لافتراضٍ أو ظنٍّ. فابتدأ الحديث بأداةٍ تُعلن أن ما سيأتي بعدها أمرٌ ثابت لا يُرتاب فيه. ومعنى (إِنَّ) في مقام التَّوكيد: تُفيد تقوية الخبر وإزالة احتمال التردّد فيه.

فالنَّبيُّ أراد أن يُقرّر حقيقةً لغويةً نفسيةً وهي أن للبيان قوةً خفيةً كالسحر في تأثيره. قوله: (مِنَ الْبَيَانِ): البيان في اللُّغة: الكشف والإيضاح والإفصاح؛ ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤]. فالبيان هو البلاغة في الإفصاح، وحسن ترتيب الكلام حتى يُدرك به المعنى على أكمل وجهٍ وأقرب طريق.

واستعمال (مِنْ) للتبعيض، كما قرَّره العيني (العيني، د.ت)، يدلّ على أنَّ النَّبيَّ ρ لم يُرد كلَّ البيان، بل بعضه الذي يبلغ حدَّ التأثير المدهش، فكلمة كلمة في الحديث (مِنْ) للتبعيض، فليس كل البيان سحرًا، وإنما بعضه كذلك، وهو ما يبلغ في بلاغته أن يستميل القلوب ويملك العقول (al-ʿAynī, n.d.). وفي هذا التبعيض دقّةٌ لغوية بالغة، إذ فرّق النَّبيُّ ρ بين البيان الممدوح الذي يخدم الحق، والبيان المذموم الذي يُزيّن الباطل.

قوله: (سِحْرًا): السِّحر في الأصل مأخوذ من مادة (س ح ر) التي تدل على اللَّطافة والخفاء والتأثير الخفيّ في الشيء. قال ابن فارس: ((السحر صرف الشيء عن وجهه على سبيل الخفاء)) (Ibn Fāris, 1979). وعليه، فالتشبيه هنا تمثيليٌّ بليغٌ، شبَّه فيه النَّبيُّ ρ تأثير الكلمة البليغة في النفس بتأثير السِّحر في المسحور، لا من جهة الحرمة والذمّ، ولكن من جهة قوة التأثير الخفيّ والعجيب. قال ابن عبد البر: ((وفيه المجاز والاستعارة الحسنة، لأن البيان ليس بسحر على الحقيقة. وفيه الإفراط في المدح؛ لأنَّه لا شيء في الإعجاب والأخذ بالقلوب، يبلغ مبلغ السحر)) (Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH). فالنَّبيُّ استعار لفظ السحر ليدل على شدة تأثير الكلمة وجمالها في النفوس، لا على معناها الشرعي المذموم.

التحليل التركيبي والنحوي: الحديث جملة اسمية مبدوءة بـ(إنَّ)، مؤلفة من مبتدأٍ محذوفٍ تقديره: (إنّ بعض البيان)، وخبرها (سحرٌ). والجملة على إيجازها تحمل بناءً متوازنًا موسيقيًا، تكرَّر فيه حرف النُّون والسِّين والحاء والراء، ممَّا يولّد جرسًا صوتيًا لطيفًا يوافق المعنى الذي يتحدث عن الخفاء والجذب والتأثير؛ كالسحر تمامًا. وهذا التوازن الصوتي في الحديث من دقائق البلاغة النبوية التي لا تُنال بتكلّف، بل بتسديد الوحي.

٢. الجمال البلاغي في تشبيه البيان بالسحر

أ. نوع التشبيه ووجه الشبه:

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

تشبيه النَّبيّ البيان بالسحر تشبيه تمثيلي بليغ، حُذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه ليفيد قوّة التطابق في التأثير. فالبيان البليغ إذا بلغ غايته في الإقناع والتأثير شبَّه النَّبيُّ ρ أثره بالسحر الذي يسلب الإرادة ويأخذ العقول. قال السِّندي في قوله: ((إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا)): ((قاله تصويباً لتعجبهم بأنه في محله، أو تخطئة لهم بأن البيان قد يزيد في البلاغة على خطبة هذين حتى يصير سحرًا، أو بأنَّ كونه سحرًا لا اختصاص له بخطبة هذين، بل هو أمر يوجد في نوع البيان، معلوم وجوده فيه، فلا ينبغي التعجب من مثله)).

فكلام السندي يبيّن أن المقام مقام ملاحظة الأثر النفسي للبيان، لا الحكم الأخلاقي عليه.

ب. المجاز والاستعارة:

الحديث من أبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية، إذ صُوِّر البيان في مقامٍ تخييليٍّ يُرى فيه أثره في العقول والقلوب كما يُرى أثر السحر في الأبدان والعقول. وقد أشار ابن عبد البر إلى هذا المعنى بقوله: ((وفيه المجاز والاستعارة الحسنة، لأن البيان ليس بسحر على الحقيقة، وإنما فيه إفراط في المدح)) (Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH). وهذا ما أكّده العيني أيضًا حين قال: ((وتشبيهه [أي: تشبيه البيان بالسحر] مدحٌ له، لأن معنى السحر الاستمالة، وكل من استمالك فقد سحرك)) (العيني، د.ت). فالبيان في نظر النَّبيِّ ρ طاقة روحية قادرة على النفاذ إلى القلب والعقل، وهو ما يجعله قريبًا من مفهوم السحر في اللطافة والخفاء وقوّة الأثر.

ج. الطباق والتقابل الدلالي:

من الدقائق البلاغية في الحديث أنَّ التشبيه تضمن طباقًا معنويًا ضمنيًا بين البيان والسحر؛ فالأول وسيلة هدايةٍ وإيضاح، والثاني وسيلة تضليلٍ وخفاء، فجمع النَّبيُّ ρ بين النَّقيضين؛ ليدل على أنَّ الكلمة الواحدة قد تكون سبيلًا للهداية أو وسيلةً للغواية بحسب مقصد صاحبها. قال العيني في ذلك: ((ليس الحديث بذمٍّ للبيان كله ولا بمدحٍ له كله، لأن (مِنْ) للتبعيض، فبعض البيان ممدوح وبعضه مذموم)) (al-ʿAynī, n.d.). وهذا التقابل المعنوي بين البيان والسِّحر هو من أرفع ضروب البلاغة في الخطاب؛ لأنَّه يُبقي الذهن في حالة تأمّل وتوازن.

٣. البعد الجمالي والدعوي في التركيب النبوي

أ. توازن البيان بين الجمال والحقّ:

في قوله: ((إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا)) تربية دعوية بليغة؛ إذ يعلِّم النَّبيُّ ρ الداعية والخطيب أنَّ البيان سلاحٌ ذو حدّين: فإن استُعمل في خدمة الحق كان هدايةً، وإن استُعمل في الباطل كان فتنةً. قال ابن عبد البر: ((يحمد العلماء البلاغة واللسانة ما لم تخرج إلى حدّ الإسهاب والتفيهق، فإن المتفيهقين

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

أبغض الناس إلى الله ورسوله)) (Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH). فهو بيانٌ يحكمه الضمير، لا اللسان وحده؛ إذ إن جمال الكلمة لا يُغني عن صدقها، وصدقها لا يستغني عن حسن عرضها.

ب. التوازن الصوتي والإيقاعي:

من الإعجاز البلاغي أنَّ هذا الحديث على قِصَره يحمل إيقاعًا صوتيًا متناسقًا؛ فحروفه تترتب على نسقٍ خفيفٍ فيه تكرار للنون والياء والسين والحاء والراء، وهي حروف لينة شفافة تُحدث أثرًا موسيقيًا خفيًّا في السمع، يُشبه فعل السحر في الخفاء واللطافة. وهذا الإيقاع نفسه يحقّق ما يتحدث عنه الحديث: الأثر السحري للكلمة الجميلة.

ج. البيان بين البلاغة والصدق:

في ضوء أقوال العلماء يمكن القول: إنَّ النَّبيَّ ρ أراد أن يبيّن أنَّ البيان الممدوح هو الذي يجمع بين بلاغة الأداء وصدق المعنى، وأنَّ الكلمة التي تُقنع وتؤثر لا تستمدُّ سحرها من زخرف اللَّفظ، بل من صدق المقصد وصفاء القلب. قال العيني: ((البيان إذا استُعمل في الحق فهو ممدوح، وإذا استُعمل في الباطل فهو مذموم)) (al-ʿAynī, n.d.). ومن هنا يُفهَم الحديث على أنه توجيه بلاغيٌّ دعويٌّ للدعاة والخطباء، بأن يضبطوا بيانهم بالحقّ، ويجعلوا من بلاغتهم وسيلة هداية لا وسيلة إغراءٍ أو خداع.

تتجلّى في هذا الحديث الشريف قمة البلاغة النبوية، حيث جمع بين المجاز والدقة، والتصوير والتربية في آنٍ واحدٍ. فهو في تركيبٍ قصيرٍ يُقدّم نظريةً متكاملة في قوة الكلمة وأثرها، إذ تُصبح الكلمة الصادقة في موضعها كالسحر في نفاذها، دون أن تخرج عن دائرة الحقّ والفضيلة. ومن ثمّ، فالحديث ليس مدحًا للبيان بإطلاق، ولا ذمًّا له بإطلاق، بل هو ميزانٌ للبيان يزن به المتحدث كلمته قبل أن ينطق بها؛ فمن جعل بيانه سبيلًا إلى الهداية، كان سحره حلالًا، ومن جعله سبيلًا إلى التزييف، كان سحره مذمومًا.

الأبعاد الدَّعوية والتَّربوية في حديث إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا

يُعدُّ هذا الحديث النبوي من النصوص الجامعة بين البلاغة والتهذيب، فقد جمع في ألفاظٍ يسيرةٍ توجيهًا لغويًا ودعويًا وتربويًا عظيمًا، يعلّم الدعاة كيف يُحسنون استخدام الكلمة في خدمة الحقّ، ويُحذّرهم من خطورتها إذا استُعملت في غير وجهها.

فالنَّبيُّ في هذا الحديث لا يصف البيان بوصفٍ لغويّ فحسب، بل يضع له ميزانًا شرعيًّا وأخلاقيًّا، يُفرّق بين البيان الممدوح الذي يُرشد إلى الهدى، والبيان المذموم الذي يفتن ويُضلّ. ومن هنا تأتي الأبعاد الدعوية والتربوية للحديث، التي تُظهر أنّ الكلمة في الإسلام رسالة ومسؤولية، وأن البلاغة ليست غايةً في ذاتها، بل وسيلةٌ لإظهار الحق وإقناع القلوب به.

١. البيان أداة الدعوة والإقناع

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

أ. دور البيان في تبليغ الحقّ:

من أعظم ما امتاز به النَّبيُّ ρ أنَّه أوتي جوامع الكلم، فكان كلامه بليغًا جامعًا للمعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، كما قال ρ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)) (Aḥmad, 2001, no. 8952). وهذا يدلُّ على أنَّ البلاغة النَّبويَّة كانت أداةً دعويةً مؤثرة، تجمع بين الإقناع العقلي والاستمالة الوجدانية. ففي قوله: ((إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا))؛ إشارةٌ إلى أنَّ البيان من أعظم وسائل التَّأثير في النُّفوس، وأنَّه إذا صَدَقَ معناه ونَقِيَ مقصده، صار وسيلةً للهداية ونشر الحقّ. قال ابن عبد البر: ((وفي الحديث دليل على مدح البيان وفضل البلاغة، والتعجب بما يسمع من فصاحة أهلها، لأن البيان إذا وُضع في موضعه كان جمالًا للكلمة وقوةً للحجة)) (Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH). فهو يقرّر أنَّ البيان لا يُمدَح لمجرد فصاحته، بل لقيمته التَّبليغيَّة والإقناعيَّة، متى كان في خدمة الحقّ.

ب. الفرق بين البيان الصادق والبيان الماكر:

البيان الصَّادق هو الذي يُعبّر عن الحقيقة بوضوحٍ وصدقٍ دون تكلُّف، أمَّا البيان الماكر فهو الذي يُزيّن الباطل في صورة الحقّ، ويُلبس الحجَّة بلبوس الجمال اللَّفظيّ لخداع السَّامعين. وقد حذّر النَّبيُّ من هذا النَّوع من البيان في أحاديث أخرى، منها قوله ρ: ((وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ)) (al-Tirmidhī, 1998, no. 201). وهو ما علّق عليه ابن عبد البر بقوله: ((إنَّ العلماء يحمدون البلاغة واللَّسانة ما لم تخرج إلى حدِّ الإسهاب والتَّفيهق، فإن تجاوزت ذلك كانت تكلُّفًا مذمومًا)) (Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH). ويضيف العيني: ((البيان إذا استُعمل في الحق فهو ممدوح، وإذا استُعمل في الباطل فهو مذموم، لأن الله تعالى علّم عباده البيان ليُظهروا به الحقّ، لا ليُزيّفوا به الباطل)) (العيني، د.ت). فهذه النصوص تؤكد أنَّ البيان في ذاته ليس ممدوحًا ولا مذمومًا، وإنَّما يُوزن بميزان النِّيَّة والمقصد؛ فإن كان داعيًا إلى الله فهو من السِّحر الحلال، وإن كان مُضلّلًا للناس فهو من السحر المحرّم.

ج. البيان بين التأثير والإخلاص:

الدَّاعية الذي يقتدي بالنَّبيّ ρ في بيانه يدرك أنَّ الكلمة أمانة، وأنَّها تُلقى لا لتُعجب السامع فحسب، بل لتُهديه. ومن هنا قال عمر بن عبد العزيز حين سمع رجلاً يسأله ببلاغةٍ أعجبته: ((هذا والله السحر الحلال)) (Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH). فهو مدحٌ للبيان المؤثر الذي يجمع بين الجمال والحقّ، لا البيان المتكلّف الذي يقصد الإعجاب دون الإقناع (Ibn Qutaybah, 1997). وقال ابن عبد البرّ: ((وقال ابن الرومي -عفا الله عنه- في هذا المعنى فأحسن:

وَحَدِيثُها السِّحْرُ الحَلالُ، لَوْ أَنَّها أَضْرَمَهْ لَمْ تَجُنَّ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلَّ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدُّ المُحَدِّثِ أَنَّها لَمْ تُوجَزْ

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

شَرْكُ العُقُولِ، وَنَزْهَةُ مَا مِثْلُهَا لِلسَّامِعِينَ، وَعُقْلَةُ المُسْتَوْفِزِ

(Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH)

٢. مسؤولية الكلمة وأمانة البيان

أ. البيان سلاح ذو حدين:

١) جعل الإسلام الكلمة مقياسًا للأمانة، ومسؤوليةً يُسأل عنها الإنسان، كما قال: ((وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ)) (al-Tirmidhī, 1998, no. 201). فالكلمة قد ترفع صاحبها درجات، وقد تهوي به في دركات، ولهذا كانت البلاغة الدَّعويَّة المنضبطة بالحقِّ من أبرز معالم منهج النبوة في التعليم والإرشاد (al-Yazīdī, 1938). قال ابن عبد البر: ((وأما قول الحق فحسن جميل على كل حال كان فيه إطناب أو لم يكن إذا لم يتجاوز الحق وإن كنت أحب أوساط الأمور فإن ذلك أعدلها والذي اتفق العلماء باللغة في مدحه من البلاغة والإيجاز والاختصار وإدراك المعاني الجسيمة بالألفاظ اليسيرة)) (Ibn ʿAbd al-Barr, 1387 AH). فالقول الحسن جميل على كلِّ حال، إذا لم يتجاوز الحقّ، وإن كنت أحبّ أوساط الأمور، فإن ذلك أعدلها. وهذا النصّ من أنفس ما يُستشهد به في توجيه الداعية إلى الاعتدال في التعبير والبعد عن الغلوّ في البيان، ليبقى كلامه متوازنًا يجمع بين الجمال والصدق.

٢) ضوابط البيان الدعوي في ضوء الحديث: من معاني حديث: ((إِنْ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا)) أنَّ الكلمة قد تمتلك من التَّأثير ما لا تملكه القوَّة الماديَّة، ولهذا وجب على الدَّاعية أن يُراقب قصده ولسانه معًا. فالبيان إذا خدم الباطل كان سحرًا مذمومًا، وإذا خدم الحق كان سحرًا ممدوحًا؛ لأنَّه يصرف القلوب إلى الخير كما يصرفها السحر إلى الخيال. وهذا يقرر مبدأً دعويًّا عظيمًا، وهو أنَّ البيان الصَّادق وسيلة هداية، والبيان المزخرف وسيلة غواية. فالكلمة الواعية هي التي تبني الإيمان، والكلمة المنحرفة هي التي تهدم القيم.

٣) تطبيقات دعوية معاصرة: في عصر الإعلام والتَّواصل الواسع، أصبحت الكلمة أسرع من السَّهم وأقوى من السَّيف، وأصبح البيان أداةً تصنع الرأي وتوجّه العقول. ومن هنا تتجدَّد دلالة الحديث، ليكون ميزانًا للخطاب الدَّعوي المعاصر؛ فالدَّاعية اليوم مطالب بأن يجمع بين قوَّة البيان وصدق النِّيَّة، وأن يحرص على أن تكون بلاغته وسيلة للتبليغ لا للتلميع، وللإقناع لا للإبهار. فإذا تحقّق هذا التَّوازن، صار بيانه من (السِّحر الحلال) الذي يأسر القلوب بالحقِّ، ويجذب الأرواح إلى الهدى.

يبيّن هذا الحديث الشريف أنَّ البلاغة ليست مجرَّد صنعةٍ لغوية، بل هي فنٌّ أخلاقيٌّ ورسالةٌ دعوية، وأنَّ البيان إذا صَفَتْ نيّته وصدق مقصده كان هدايةً، وإذا خالطه رياءٌ أو باطلٌ كان فتنةً. وقد أجمع العلماء على أنَّ المقصود بحديث: ((إِنْ مِنَ البَيَانِ سِحْرًا)) التَّنبيه إلى خطورة الكلمة وتأثيرها، لا مدح

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

البيان بإطلاقٍ ولا ذمّه بإطلاقٍ؛ لأنَّ الكلمة في الإسلام تُوزن بميزان الحقّ والنِّيَّة. فالدَّاعية الصَّادق هو الذي يجعل من بيانه نورًا لا نارًا، ومن فصاحته وسيلةَ دعوةٍ لا وسيلةَ فتنة، فيكون لسانه لسان صدقٍ في الآخرين كما قال تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

الخاتمة

بعد هذه الدِّراسة يتبيّن أنَّ حديث النَّبيِّ ρ: ((إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا)) ليس مجرَّد وصفٍ بلاغيّ، بل هو ميزان أخلاقيّ ودعويّ للكلمة. فقد جمع بين بيان الحقيقة وجمال العبارة، فصار مرجعًا لغويًا وتربويًا في آنٍ واحد. ومن أهم ما خلص إليه البحث: أنَّ النَّبيَّ وضع بهذا الحديث قاعدةً خالدة في فقه الكلمة، مؤداها أن البيان لا يُمدح ولا يُذمّ إلا بمقدار مقصده ونتيجته. أنَّ البلاغة النبوية بلغت ذروة الإعجاز في توحيد الفكرة والعاطفة والعبارة في جملةٍ واحدةٍ تجمع بين المعنى والإيقاع. أنَّ الدعوة لا تنجح بالكلمة وحدها، بل بالنية والصدق المصاحبين لها، فالكلمة المخلصة سحرٌ حلال، والكلمة المتكلّفة سحرٌ مذموم. أنَّ على العلماء والدعاة والإعلاميين في العصر الحديث أن يجعلوا هذا الحديث معيارًا في ضبط خطابهم، ليبقى البيان في الأمة طريقًا للهداية لا وسيلةً للغواية. وخُتِم البحث بأنَّ البيان في الإسلام عبادةٌ بالقلب واللِّسان، فلا تُقاس قيمته بجمال اللفظ وحده، بل بقدر ما يزرع في النفوس من صدقٍ وعدلٍ وهدى.

المصادروالمراجع

Abū Dāwūd, Sulaymān (d. 275 AH). *Sunan Abī Dāwūd* (ed. Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd). Beirut: al-Maktabah al-ʿAṣriyyah.

Abū ʿUbayd, al-Qāsim ibn Sallām (d. 224 AH). *Gharīb al-ḥadīth* (ed. Muḥammad ʿAbd al-Maʿīd Khān). Hyderabad: Dāʾirat al-Maʿārif al-ʿUthmāniyyah, 1964.

Aḥmad ibn Ḥanbal (d. 241 AH). *Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal* (ed. Shuʿayb al-Arnāʾūṭ et al.). Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 2001.

Al-Ābī, Manṣūr (d. 421 AH). *Nathr al-durr fī al-muḥāḍarāt* (ed. Khālid ʿAbd al-Ghanī Maḥfūẓ). Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 2004.

Al-ʿAynī, Maḥmūd (d. 855 AH). *ʿUmdat al-qārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Bukhārī, Muḥammad (d. 256 AH). *Al-Adab al-mufrad* (ed. ʿAlī ʿAbd al-Bāsiṭ Mazīd & ʿAlī ʿAbd al-Maqṣūd Riḍwān). Cairo: Maktabat al-Khānjī, 2003.

Al-Bukhārī, Muḥammad (d. 256 AH). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (ed. Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir). Riyadh: Dār Ṭawq al-Najāh, 2001.

Al-Jāḥiẓ, ʿAmr ibn Baḥr (d. 255 AH). *Al-Bukhalāʾ*. Beirut: Dār wa-Maktabat al-Hilāl, 1998.

Al-Mubārakfūrī, ʿUbayd Allāh (d. 1414 AH). *Mirʿāt al-mafātīḥ sharḥ Mishkāt al-maṣābīḥ*. Benares (India): Idārat al-Buḥūth al-ʿIlmiyyah, 1984.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

Al-Tirmidhī, Muḥammad (d. 279 AH). *Al-Jāmiʿ al-kabīr (Sunan al-Tirmidhī)* (ed. Bashshār ʿAwwād Maʿrūf). Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1998.

Al-Yazīdī, Muḥammad (d. 310 AH). *Al-Amālī*. Hyderabad (India): Maṭbaʿat Jamʿiyyat Dāʾirat al-Maʿārif, 1938.

Ibn ʿAbd al-Barr, Yūsuf (d. 463 AH). *Al-Tamhīd limā fī al-Muwaṭṭaʾ min al-maʿānī wa-l-asānīd* (ed. Muṣṭafā al-ʿAlawī & Muḥammad al-Bakrī). Rabat: Wizārat ʿUmūm al-Awqāf, 1387 AH.

Ibn Fāris, Aḥmad (d. 395 AH). *Muʿjam maqāyīs al-lughah* (ed. ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn). Beirut: Dār al-Fikr, 1979.

Ibn Mājah, Muḥammad (d. 273 AH). *Sunan Ibn Mājah* (ed. Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī). Cairo: Dār Iḥyāʾ al-Kutub al-ʿArabiyyah.

Ibn Qutaybah, ʿAbd Allāh (d. 276 AH). *ʿUyūn al-akhbār*. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1997.

Majmaʿ al-Lughah al-ʿArabiyyah bi-Qāhirah. (n.d.). *Al-Muʿjam al-wasīṭ*. Cairo: Dār al-Daʿwah.

Mālik ibn Anas (d. 179 AH). *Al-Muwaṭṭaʾ* (ed. Bashshār ʿAwwād Maʿrūf & Maḥmūd Khalīl). Beirut: Muʾassasat al-Risālah, 1991.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)